الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبو بكر بلقايد
UNIVERSITÉ DE TLEMCEN

كلية الآداب و الفنون
قسم اللغة والأدب العربي

مقياس : نظرية الرواية
ليسانس السداسي السادس
تخصص: دراسات نقدية
إعداد : أ.د محمد ملياني
العام الجامعي 2026/2025

محاضرات في نظرية الرواية

المحاضرة 12: الرواية الانسيابية

الرواية الانسيابية:

تعد الرواية الانسيابية، أو ما يُعرف بتقنية "تيار الوعي"، واحدة من أبرز التحولات الجذرية التي شهدها الفن الروائي في القرن العشرين، حيث لم تكتفِ بتغيير شكل السرد، بل أعادت تعريف مفهوم "الواقع" ذاته داخل العمل الأدبي. فلم يعد النص الروائي مرآةً تعكس العالم الخارجي، بل أصبح فضاءً داخلياً تتقاطع فيه الذاكرة، والإدراك، واللاشعور.

قامت الرواية التقليدية، خاصة في نماذجها الواقعية، على مبدأ المحاكاة: نقل الأحداث بترتيب زمني منطقي، وتقديم شخصيات تتفاعل ضمن سياق سببي واضح. غير أن الرواية الانسيابية قلبت هذا التصور، إذ انتقلت من سؤال " :ماذا حدث؟ "إلى سؤال أكثر تعقيداً" :كيف يُدرَك ما حدث داخل الوعي؟"

في هذا السياق، يصبح الحدث ثانوياً، بينما تتصدر التجربة الشعورية مركز السرد. وهنا يتجلى تأثير أفكار عالم النفس ويليام جيمس، الذي رأى أن الوعي ليس سلسلة من الأفكار المنفصلة، بل تيار متدفق لا يخضع لتقسيمات منطقية صارمة.

من أبرز ما يميز الرواية الانسيابية هو تفكيكها للزمن الخطي. فالزمن في هذا النمط ليس كرونولوجيا، بل نفسيا؛ يتمدد وينكمش وفقاً لتداعيات الذاكرة. لحظة عابرة قد تستدعي ماضياً بعيداً، فتتداخل الأزمنة داخل بؤرة شعورية واحدة.

وقد تجلّى هذا بوضوح في أعمال مثل رواية" يوليسيس "لـ جيمس جويس، حيث يمتد يوم واحد ليحتوي عالماً كاملاً من التداعيات الذهنية، وكذلك في أعمال مارسيل بروست الذي جعل من الذاكرة الحسية مدخلاً لاستعادة الزمن المفقود.

لم تعد اللغة في الرواية الانسيابية مجرد وسيلة للتعبير، بل أصبحت تمثيلاً لبنية التفكير نفسها. لذلك نلحظ:

- تكسّر الجمل
- غياب علامات الترقيم أحياناً
- تداخل الأصوات الداخلية

هذا التحول يعكس محاولة جذرية لنقل "الفكر قبل أن يصاغ"، أي في حالته الخام.

وقد برعت فرجينيا وولف في هذا المجال، حيث استطاعت أن تمنح اللغة بعداً شعورياً شفافاً يوازي حركة الوعي.تكمن القيمة الفنية العميقة لهذا الأسلوب في قدرته على سبر أغوار الشخصية، والكشف عن طبقاتها الخفية التي لا تظهر في السلوك الخارجي. فبدلاً من تقديم الشخصية عبر أفعالها، يتم بناؤها عبر:

- هواجسها
- مخاوفها
- تدفقاتها الذهنية غير المنطقية

وهذا ما أشار إليه الناقد روبرت همفري، حين اعتبر أن الهدف الأساسي لتقنيات تيار الوعي هو كشف "الجانب غير المرئي" من الشخصية.

تطرح الرواية الانسيابية رغم ثرائها الفني، تحدياً حقيقياً للقارئ. فهي لا تقدم حبكة جاهزة، بل تتطلب جهداً تأويلياً لإعادة بناء المعنى من شظايا الوعي. ومن هنا، وصفت بأنها "أدب النخبة" أحياناً.

غير أن هذه الصعوبة ليست نقصا، بل جزء من مشروعها الجمالي؛ إذ يتحول القارئ من متلقٍ سلبي إلى شريك في إنتاج الدلالة.

لم يكن الأدب العربي بمعزل عن هذا التحول، إذ ظهرت ملامح تيار الوعي في أعمال نجيب محفوظ، خاصة في "اللص والكلاب" و"الشحاذ"، حيث تتجلى الصراعات الداخلية للشخصيات ضمن سياق وجودي.

كما أسهم إدوار الخراط في ترسيخ هذا الاتجاه من خلال ما سماه "الحساسية الجديدة"، التي تمزج بين السرد والشعر، وتكسر الحدود بين الأجناس الأدبية.

إن الرواية الانسيابية لم تكن مجرد تقنية سردية، بل كانت ثورة إبستمولوجية أعادت تعريف العلاقة بين الإنسان والواقع. فقد نقلت مركز الثقل من العالم الخارجي إلى الداخل الإنساني، ومن الحدث إلى الإدراك، ومن الموضوعية إلى الذاتية.

إنها كتابة لا تسعى إلى تمثيل العالم كما هو، بل كما يعاش داخل الوعي؛ بكل ما فيه من تشظ، وغموض، وعمق إنساني لا نهائي.